

الأعباء الجيدة

في ظل المسيرة الجديدة

من خلال الجهاد الشاق الطويل الذي خاضه العرش والشعب طيلة عهد الحماية البغيض تبلور المفهوم الموضوعي للاستقلال ، وتحدثت أبعاده ، وارتسمت في الأذهان صورته المشرقة ، واتضح الإطار الوطني والسياسي والفكري والحضاري لمستقبل البلاد .

كان الجهاد الاسلامي الوطني الذي حمل لواءه العرش العلوي وتحمل أعباءه أبناء الشعب جميعا تجربة سياسية رائدة ، ومدرسة وطنية تخرجت منها أفواج المناضلين الذين واصلوا الكفاح في صبر وصمود ، وثبات وثقة ، وجسدوا ارادة الامة في معارك ومواقف وملاحم أرغمت الاستعمار على استنفار كل قواته ، وتغيير استراتيجيته العدوانية مرارا في ظرف سنوات قليلة .

ولقد انطلقت الوطنية المغربية من القصر ، وانبثقت من عقيدة الاسلام ، وكانت ضمير الامة ، وصوتها المعبر في شجاعة وقوة عن تطلعاتها المشروعة نحو الحرية والاستقلال ، وكان أشد ما يفيض دهاقة الاستعمار ويقض مضاجعهم هذا التلاحم القوى المتين بين جلالته المغفور له محمد الخامس - رحمه الله - وبين جماهير شعبه المتوثب المتحفز المستعد للتضحية في كل وقت وحين . فلم يكن كفاح الشعب بمنأى عن توجيه وتدير وإرشاد وتخطيط العرش ، ولم تكن معارك الشوارع والجبال والسهول والصحراء تدور في حلقة مفرغة ، أو تنشد أهدافا مجردة غير واضحة المعالم ، بل كانت معارك منضبطة ، موجهة ، وأهدافا مرسومة ، محددة ، وغايات واضحة معلومة . ولم يكن العرش منعزلا متقوقعا كما خطط له الاستعمار وأراد ، ولكنه كان في قلب المعركة ، يواجه الأحداث ، ويقود الركب ، ويلهم الاحساس ، ويثرى الوجدان ، ويشحن النفس بالامل والاصرار وروح التحدي ، ولم يفتر قط الحماس الملتهب ، ولم تخمد جفوة الشجاعة والاقدام والتضحية ، ولم يفت في عضد الملك والشعب

تأمر الاستعمار وأرهابه وجبروته وطفياته ، ولم يتزعزع اليقين في الله قيد أنملة ، بل على العكس من ذلك تماما ، فقد زادت التحديات الشرسة والمعارك العنيفة من إيمان الشعب بحتمية الاستقلال وقوت في أعماقه الرغبة في الحرية وشحذت عزيمته ، واكسبته قدرة على المواجهة وفجرت في نفسه طاقة نضالية هائلة جعلته يواجه مصيره بقلب ثابت ونفس مطمئنة وتصميم أكيد على تحرير الوطن من رجس الصليبية الجديدة .

كان الاستقلال في المفهوم الشعبي يتجسم في عودة جلالة المغفور له محمد الخامس الى عرشه باعتباره رمز المشروعية وعنوان السيادة وضامن الوحدة الوطنية ، وقد أعطى هذا التلازم بين الاستقلال وعودة الملك الشرعى للبلاد نفسا قويا للمعركة وأضفى عليها طابعا حضاريا أصيلا ، ذلك أن خروج الاجنبى ، وجلاء جيوشه لا يعنى شيئا في نظر الشعب اذا لم يعد صاحب العرش الى وطنه وتستأنف الحضارة المغربية دورتها الجديدة . ولذلك فحينما نصب الاستعمار بيدقا من بيدقه العفنة على سدة الحكم اضطربت البلاد من أقصاها الى أقصاها وتضاعفت المقاومة واتسع نطاقها واشتد أوار حرب التحرير الشعبية في أحياء المدن وأعلى الجبال وشعاب الصحراء ، تعبيرا عن رفض الشعب اغتصاب المشروعية واعتساف السلطة وابتزاز الحكم من أصحابه الشرعيين الذين تربطهم به أواصر البيعة الشرعية الخالدة ، ووشائج الولاء الصادق الواعى ، وروابط الاعتراف بالجميل والفضل للأسرة الحاكمة الشريفة . وكان الشعب بجمع فئاته يرى في هذه العودة المرتقبة الشرط الاساسى الوحيد الذى بدونه لا يتم استقلال ، ولا تكمل حرية ، ولا يستقر حال .

وتداخلت عوامل سياسية متعددة ، وأسباب استراتيجية كثيرة وظروف الكفاح المتواصل الذى لم يكن أحد يعلم له نهاية قريبة ، في التمهيد لانتهاء الوجود الاستعماري في الجزء الاكبر من ترابنا الوطنى .

وحل يوم 16 نوفمبر 1955 . .

وعاد محمد الخامس والى يمينه الامير مولاي الحسن الذى شاعت له ارادة ربه أن يقضى فترة تدريب مغنوى واستعداد روحى الى جوار المعلم الاول والده في دار القرية والنفى تلقى خلالها دروسا في الصبر الجميل والتفكير الرصين والتدبير الهادئ كأن الله سبحانه وتعالى كان يهئ الامير الشاب الشجاع للمهام الجسام والمسؤوليات الضخمة والاعباء الثقيلة بعد الاستقلال . وبذلك صح القول بأن النفى كان مدرسة جديدة للوطنية والاعداد السياسى المتين بقدر ما كانت سنوات الكفاح الطويلة في عهد الحماية مدرسة للوعى الوطنى والشعور الحاد بخطورة الوضع في ظل الاحتلال والحجر والعبودية . ويتم ذلك كله في الوقت الذى كان يستعد الامير مولاي الحسن لتحضير أطروحة الدكتوراة في القانون ، فكان التخصص العالى في الكفاح والوطنية الحقبة اسمى درجة علمية ينالها راضيا مطمئنا مرتاحا .

وحل يوم 18 نوفمبر 1955 . .

وحلت معه مسؤوليات جسيمة ، واستبدل المغرب سلاح الحديد

والنار بسلاح الفكر والعمل والانتاج ، وانيسطت امامنا آفاق رحبة ، وانفتحت ميادين واسعة متعددة ، وبدأت المعركة الجديدة ، قاننا فيها محمد الخامس خمس سنوات ، ثم لقي ربه فرحا مقتبها مطمئنا مرتاح الضمير قرير العين ، بعد ان سلم الامانة الى وارث سره وخليفته من بعده جلالة الملك الحسن الثانى ، وبدأت العبقريّة تتفق ، وسنوات الاعداد الوطنى فى المنفى تؤتى اكلها ، وتربية معلم الوطنية وملهم الكفاح تثمر أشهى الثمار .

وتوالى الملحمات وتتابعت المواقف الخالدة ، فمن نصر الى نصر ، ومن غزو للتخلف بسلاح العصر ، الى مواجهة حاسمة لرواسب عهود الاستعمار ، الى بعث اسلامى ، الى انطلاقة اقتصادية ، الى تعبئة عامة لاسترجاع المناطق المفتصة ، الى المسيرة الخضراء ، الى دخول الصحراء ، الى تجربة الشورى الاسلامية الفريدة التى نعيش اليوم فى اجوائها الصحية المنعشة .

كفاح طويل شاق ، وجهد جبار مرهق ، وسعى متواصل دؤوب ، من أجل الخير والحرية والسلام .

وكان محمدا الخامس لم يلق ربه ، وكان احدى وعشرين سنة لم تمض من عمر الزمن ، وكان الماضى المشرق التليد يتجسم امامنا اليوم بجلاله وجماله ، ينعش نفوسنا ، ويرهف احساسنا ، وينفخ فينا روح المثابرة والمواظبة والاستمرار والتواصل ، ويلهمنا سواء السبيل ، ويثلج صدورنا ببرد اليقين ، ويشحذ ارادتنا بنور الايمان .

ان استحضارنا لهذه الصور الجميلة من الكفاح الوطنى بقيادة العرش العلوى المجيد ، ليس من قبيل التباهى والتفاخر ، او ضربا من ضروب التعلق اللواعى بالماضى واجترار ذكريات الامس ، ولكنه نوع من الاستمداد والاقتراس والتلقى يزيد من تعلقنا بالعرش المجاهد ، ويمنحنا الثقة فى ابن محمد الخامس ، وحفيد الملوك الاشراف ، وسليل الدوحة النبوية .

واذا كان محمد الخامس — قدس الله روحه — ادى الامانة كاشرف ما يكون الاداء ، وحرر البلاد بجهاده وتحديه وصموده ورفضه الانصياع لاوامر المستعمر الفاصب ، فان جلالة الحسن الثانى يواصل اليوم نفس الدور التاريخى العظيم ، ويمضى على الطريق الذى اختطه والده ومهده بالعرف والالم والتضحيات ، ثابت الجنان ، رابط الجأش ، قوى الثقة بنفسه ، صادق الاخلاص لشعبه ، يقطع أشواط النمو حثيثا ، ويجرز على الانتصارات دأبا ، لا يرهبه تأمر المتأمرين ، ولا يثنيه عن عزمه مكر الماكرين ، ولا يفت فى عضده تقلب المتقلبين ، رسالته البناء ، وغايته الرقى بالبلاد ، وهدفه استكمال التحرير ، وضالته بناء المغرب الجديد ، على قاعدة الشورى وأساس العدل .

وليس هناك أدل على نبل المقصد ، وحسن الطوية ، واستقامة ميزان النظر والحكم من الدخول فى تجربة الانتخابات فى جو من الصفاء

والوحدة والتراخي بين جميع الفئات السياسية والاستعداد للمشاركة في اعباء المسؤولية الوطنية بروح الزمالة والمواطنة الحققة والتعاون المخلص لما فيه الصالح العام . وذلك بعد ان اجتمعت كلمة الامة في معركة الصحراء ، وتحمل كل فرد وهيئة قسطه من النضال ، وسار الجميع في المسيرة الخضراء ، جنبا الى جنب ، ويداً في يد ، وقلبا على قلب ، فعبر الشعب بملحمته تلك ، عن نضجه ، ووعيه ، وحصافته ، وقدرته على الاختيار ، واهليته لتسيير شؤون البلاد . فلم تكد تكتمل سنة على ذلك الحدث العظيم حتى اجريت الانتخابات الجماعية في جو من السلم الاجتماعي الذي اوصى به جلالة العاهل شعبه ، وفي اطار من الانضباط العاقل المتبصر ، والنظام الواعي المسؤول . فدخلنا بذلك المعركة الحضارية ، وبدأنا المسيرة الجديدة ، على هدى من الله ورضوان .

وما كان المغرب الذي صمد في وجه تيارات الهزم والتخريب قرونا نوات العدد ، ليقف اليوم عاجزا متخاذلا امام الغارة التتريّة الحديثة الوافدة من شرق ومن غرب على سواء ، والهانفة الى اقتلاع جذور الايمان من قلوب المسلمين في مشرق العالم الاسلامي ومغربه ، وزرع بذور الشك في نفوس الاجيال الصاعدة لتذهل عن دينها ومنبع قوتها ، وتفرط في عزتها النفسية وكرامتها الفكرية . فان من رسالة العرش المغربي حماية الاسلام واعلاء كلمته ، ولم يكن لهذه « الحماية » من معنى عبر تاريخنا كله الا التصدي لاعداء الحق ، وردع خصوم الحقيقة ، وحراسة عقيدة الامة وفكرها ولغتها وتراثها . ولم يكن لـ « اعلاء كلمة الاسلام » من مفهوم الا نشر الفكر الاسلامي ، واشاعة الوعي الديني اليقظ ، وتعميق المفاهيم الصحيحة المؤمنة ، والتمكين للعدل والعدالة الاجتماعية والشورى واقامة المجتمع الاسلامي السوي الذي يعيش في كنفه الناس جميعا مطمئنين على ارزاقهم وعقائدهم ، متحابين ، متكافلين ، متضامنين يشد بعضهم بعضا كأنهم البنيان المرصوص .

ومن نافلة القول ان محور فكر جلالة الملك الحسن الثاني هو اقامة البنيان المرصوص في مغرب التحرير والحرية والوحدة .

وليس من شك ان هذا هو المحتوى الفكري للتجربة المغربية الراهنة ، وهو ايضا البعد الحضاري للمسيرة الجديدة نحو الرخاء والخير .

وانطلاقا من هذا الفهم الواضح لحقائق الاشياء ، والادراك السليم لطبيعة الاحداث والانتصارات المتتالية التي يعيشها المغرب اليوم ، فان السياسة الرشيدة لجلالة الملك القائد تقتبس من الفكر الاسلامي ، وتستمد من الاصالة المغربية . وفي ذلك ضمانة مؤكدة للانتصار ، واستثمار للمستقبل وكسب للرهان ، وفوز في معارك الحاضر والمستقبل ان شاء الله .

ومن اجل هذا كافح محمد الخامس — رحمه الله — وخاض معركة الاستقلال .

ومن اجل هذا يكافح الحسن الثاني نصره الله وايده وسدد خطاه والهمه التوفيق والرشاد .

وحول هذه المحاور جميعا تدور مسؤولية قادة الفكر ، ورجال
الثقافة ، وحملة الاقلام . فان الجهاد الفكرى باقى بقاء الحياة . وسلاح
هذه الجبهة المؤمنة ، والصفوة المختارة من الامة ، التى حباها الله تعالى
بالعلم والفهم والقدرة على التبليغ ، هو الكلمة المؤمنة ، الملتزمة بالحق
والامانة ، الصانقة الولاء لله ورسوله وامير المؤمنين .

« دعوة الحق »

